فهناك مثل هذا العدد من الجواهر غير المتحركة والعقيدة القديمة صادقة — اذ تقول ان الكواكب آلهة ، والكواكب الهية حقا بشرط ان ننظر اليها فى انفسها ، مجردة عما اضيف اليها فيما بعد من اساطير وتصاوير بشرية وحيوانية . اما ماهية المحرك الاول فهو ليس جسميا وانه يحرك لغاية — وانه معقول ومعشوق .

اما بالنسبة للمدارس المتاخرة فقد خلط اقليدس من المدرسة الميغارية كلام سقراط بمذهب بارمنيدس ، وقال ان الخير يسمى باسماء كثيرة فيقال له الله او العناية او العقل ، وغلا اتباع المدرسة القورينائية فى التسمية ، وعلموا الالحاد فقال واحد منهم : ان الالهة فى الاصل رجال ممتازون كرمهم الناس بعد مماتهم .

وذهب ابيقورس الى ان الآلهة موجودون ، يدل على وجودهم او انهن موضوع « فكرة سابقة » شائعة فى الانسانية جمعاء ، والفكرة السابقة تتكون بتكرار الاحساس وكل احساس فهو صادق . واساس هذه الفكرة السابقة الخيالات التى تتراءى لنا فى المنام واليقظة ، والتى لا بد ان تكون منبعثة عن الآلهة انفسهم ، ولما كان عندنا فكرة وجود دائم سعيد فالآلهة يقابلون هذه الفكرة ، ولما كان لكل شىء ضده فلا بد ان يقابل الوجود الفانى المتألم وجود دائم سعيد ، ويجب ان نتصور الآلهة على حسب احسن شىء فينا .. اجسامهم لطيفة غاية اللطافة .. متحركة أبدا بين العوالم بمعزل عنها .. فلا ينالهم ما ينالنا من دثور ولكنهم مخلدون ، ولما كانوا سعداء بعيدين عن العوالم كما قلنا فهم لا يعنون بنا ، ولا يكدرون صفوهم بشئوننا ولا يعلنون عن ارادتهم بالنذر كما تعتقد العامة .. هذه المعتقدات وما يتفرع عليها من خرافات مثل تقديم القرابين للآلهة — واحيانا القرابين البشرية — لطلب مددهم ورضائهم تناقض الفكرة السابقة عنهم ، اذ يستحيل ان يكون الآلهة سعداء مطمئنين مع ما نضفيه اليهم من عواطف ومشاغل وشواغل .. فعلينا أن نطمئن نحن من جهتهم وأن ننفى عن نفوسنا الخوف منهم .

اما الرواقيون فقد تابعوا الماديين فى قدم العالم ، وبانه الهى بالنار التى هى العلة الوحيدة والاولى بما فيها عقل .. وقانون .. وضرورة .. وقدرة .. فالعالم الهى معقول تماما .. وهم يذكرون الله ويتوجهون اليه بالصلاة ، ويقصدون النار ، وقانونها او ذلك « العقل الكلى الذى وقعت بموجبه الاحداث الماضية وتقع الاحداث الحاضرة وستقع الاحداث المستقبلة » . وهم يذكرون الآلهة بأسمائهم المينولوجية ، فيجارون الديانة الشعبية فى المظاهر ويعنون فى الحقيقة ما ترمز له هذه الاسماء من الكواكب والعناصر والاحداث الكونية . وهم يذكرون العناية الالهية ويريدون بها تلك الضرورة العاملة التى تتناول الكليات والجزئيات ، ويبررونها من الشر لان الشر ضرورة للعالم كضد للخير ، والله يريد الخير ولكن تحقيق الخير يستلزم الشر . اما الشر الخلقى فراجع الى حرية الانسان ، وهم يؤمنون بالقدر ولكن القدر عندهم لا يعنى التواكل لان الظروف الخارجية غير محتمة كما اننا نجهل العلة التى تحتم الفعل فالفعل بالاضافة الى غير محتوم ولنا ان نعمل كاننا احرار .

اما **الشكاك المتاخرون** فقد توقفوا مثل الشكاك القدامى عن الحكم .

اما فى الافلاطونية الجديدة فقد قال فيلون اليهودى السكندرى باله مفارق ، العالم ، خالق له ، معنى به ولكنه بعيد كل البعد عن كل ما يدركه الفعل واول كل ما جاء فى التوراة من تشبيه ، ورايه ان العناية الالهية ليست مباشرة ولكنها تتخذ وسطاء كما ان النفس لا تبلغ الى الله الا بوسطاء والوسيط الاول هو «اللوغس» او الكلمة ابن الله نموذج العالم ، ويليه الحكمة .

فرجل الله (آدم الاول) فالملائكة فنفس الله واخيرا « القوات » وهى كثيرة ملائكة وجن نارية او هوائية تنفذ الاوامر الالهية .

وجاء بعده افلوطين وكان مسيحيا ثم ارتد الى الوثنية اليونانية وعنده « ان الواحد او الاول بسيط ليس فيه تنوع . ليس هو لوجود الآن الوجود معين اى ماهية محدودة ومعقولة » ، وانما هو مبدا الوجود ووالده والوجود بمثابة ابنه البكر . فهو الاشياء جميعا (لانه يحويها بالقوة) دون ان يكون واحدا منها (من حيث ان ليس فيه تعيين او تمييز وانه يظل فى ذاته أن يعطيها الوجود) . وهو كامل لا يفتقر الى شىء ولما كان كاملا فهو فياض ، وفيضه يحدث شيئا غيره ، فيتوجه الشىء المحدث نحوه ليتأمله فيصير عقلا .

* * *

نقـــد :

لقد حاولت فى ايجاز شديد ان انقل صورة كاملة لتصور الفلسفة اليونانية على اختلاف مدارسها والمدارس التى تاثرت بها قبل الاسلام .

ولنا على هذا التصور عدة ملاحظات :

الاولى : ان هذا التصور هو تصور الفلاسفة خاصة وليس تصورا شعبيا . اى انه تصور قلة ضئيلة جدا من المفكرين وتلاميذهم ؛ اما تصور الشعب الاغريقى نفسه وكذلك الشعب الرومانى الى بدء المسيحية . كان تصورا (ميثولوجيا) خالصا ؛ اى تصورا يقوم على الاساطير والخرافات والكهانة والطقوس ... الخ حول آلهة اوليمب وتقص مغامراتهم وشهواتهم واهوائهم مع انفسهم ؛ مع البشر بالنسبة للاغريق ، وعلى آلهة روما ؛ وعبادة القياصرة بالنسبة للرومان ؛ اى ان التصور الشعبى عبر القرون لم يطرأ عليه تطور فى اتجاه ارقى نحو التوحيد ؛ وانما يلاحظ من يدرس الميثولوجيا الاغريقية انها تحولت فقط من الازدهار الى الانحلال .

الثانية : ان التصور الفلسفى للفكرة الدينية لم ينجح قط فى ازهى عصوره وعلى يد اعظم فلاسفته سقراط ؛ افلاطون ، ارسطو فى التخلص من العقائد الشعبية الميثولوجية يونانية كانت او منقولة عن شعوب اخرى ، فقد ظل الشرك بمعناه الحقيقى — اى اشراك آلهة آخرين مع الله فى التصرف والتدبير والبقاء والنفع والضرر عند اكبر الفلاسفة سقراط وافلاطون وارسطو . كذلك اتفقوا مع العقائد الشعبية (الميثولوجيا) فى القول بقدم العالم ، وجبرية القضاء والقدر حتى بالنسبة للآلهة انفسهم ، كما ان كثيرا منهم خصوصا الطبيعيين قد استمروا على القول بفكر الحلول ووحدة الوجود المنقولة عن الهنود .

الثالثة : ان تصور الفلاسفة فكر متناقض جدلى ذاتى لا يتحول ككل من مرحلة الى مرحلة ارقى . وانما ينفى بعضه بعضا . كما ان المتأخر منهم قد يعود لتوديد عقائد قديمة اضافات جديدة . كما فعلت مدارس الطبيعيين والشكاك .

هذه بعض الملاحظات نعقب عليها برأينا فى الآراء التى سبق ايرادها فى التلخيص ، واولها راى الطبيعيين الاولين الذى لا يعد وان يكون ترديدا « للميثولوجيا » الاغريقية فى آلهة الاولمب ، وفى النار الخالدة التى سرقها بروميثيوس واعطاها للبشر فعاقبته الآلهة .

ولم يزد الطبيعيون المتأخرون شيئا غير ترديد نفس الافكار واخضاع الآلهة للكون والفساد حسب اعتقاد (الميثولوجيا) الاغريقية فى ان الآلهة مخلوقون كالبشر .

اما الايليون فقط فلم يعترفوا بشىء خارج الوجود ما عدا اكاتوفان الذى قال كلاما فيه تنزيه وتوحيد ، وان كان تفسير ارسطو له يدخله فى زمرة اصحابه القائلين بوحدة الوجود المنقولة عن العقائد الشرقية ، ولم يقل السوفسطائيون شيئا يستحق التعقيب .

وعلى الرغم من اجلالنا لصدق سقراط واخلاصه فانه لم يخرج من عالم تعدد الآلهة والشرك الحقيقى وان كان قد نزه الآلهة من شهوات البشر وخصوماتهم، وهى خطوة تنزيهية ذات طابع اخلاقى .

اما افلاطون فقد صنع عالما اسطوريا راقيا للفكرة الدينية وضع فيه المثل كآلهة مع الصانع الاول، والمحرك الاول ؛ والعقل الاول وكل هذه الآلهة مستقلة ، فكأنه نقل التعدد الى عالم وثنى آخر اكثر شفافية ونقاء من عالم (الميثولوجيا) الاغريقية ، وتصوره خطوة للامام بلا شك بالنسبة للفكر الفلسفى اليونانى ، ولكنها خطوة فى نفس الدائرة ، وذات طابع اجتهادى شخصى رغم الاستدلال الاستقرائى القياسى (الجدل الصاعد والنازل) الذى قام به لاثبات حاجة العالم الى محرك وتنظم عاقل جميل خير عادل كامل بسيط ... الخ.ولكن ذلك كله يضطرب اضطرابا شديدا، حين يكثر من الآلهة فيضيف الى الآلهة المثل آلهة الكواكب والنفس العالمية وآلهة الاولمب والجن .

اما ارسطو فقد دفعته نزعته العقلانية وولعه بالتجريد مع رغبته فى التنزيه الى تصور اله سلبى تماما يحرك ولا يتحرك ويؤثر فى العالم لا بارادته ، ولكن بحاجة العالم اليه (العشق) ولكنه وكما يقول يوسف كرم كان اكثر اغراقا فى الشرك مع افلاطون ، لانه لما جعل الحركة ازلية قال بمحركين ازليين هى آلهة ، وهى الكواكب ووصل بعددها الى 47 او 55 ، بل وزاد على ذلك الاقرار بالعقيدة (الميثولوجية) صراحة فقال « والعقيدة القديمة صادقة» اذ تقول ان «الكواكب آلهة» وان كان قد جردها من الشهوات . اما بالنسبة